الشرسة باخلاء السكان العرب من ارضهم : فقد ميزت المحكمة العسكرية بين معتقلين من رفح ، متهمين بالتهمة نفسها فحكمت على الاول حكما جائرا وعلى الثاني حكما مخففا . واما السر في هذا التمييز فهو أن المتهم الثاني أبرز في المحكمة أوراقا تثبت انه سيهاجر مع عائلته الى هندوراس ، « ... فلم يكن هذا حكما تصدره محكمة ، بل كان جائزة لتشجيع النزوح » (ص ١٢٥) . واما من يعود الى الضفة الغربية ويحاكم بسبب ذلك فتكون عقوبته أشد اذا قال للقضاة : « لم اقترف جريمة . لقد عدت الى وطني ! » .

٢ ــ **الاعتقالات والتعذيب** : ان قارىء كتاب غيلبتسيا لانغر لا يملك الا أن يسأل نفسه بعد كل محاكمة تروي قصتها : كيف تستمر هذه المحامية بعملها بعد هذا الفشل المتكرر . ولا تدل مرافعاتها وحججها على انها محامية فاشلة ، ولكن سلطات الاحتلال قررت لها ان تكون كذلك ، لان هذه السلطات في الواقع تصدر الاحكام بدون حاجة الى المحاكمة او محامي الدفاع والادعاء. هناك سياسة مرسومة تنفذ بدقة والمحاكمات لا يقصد منها الا التستر بقناع القانون والقضاء من اجل تنفيذ سياسة الاحتلال .

ان الكاتبة تقدم البرهان القاطع على ان كل معتقل من المعتقلين العديدين الذين رافقت عنهم وزارتهم في السجن بعد عناء شديد ، تعرضوا هم وزملاؤهم لابشع أنواع التعذيب اثناء التحقيق . ولم يحدث أن صدق القضاة العسكريون كسلام المعتقلين او محاميهم ولو لمرة واحدة ، بل « صدقوا » دائما شهادات شرطة التحقيق والمخابرات حتى اذا صدف ان كانت علامات التعذيب ما زالت ظاهرة على جسم المعتقل، وعندها يقول شهود الادعاء مثلا ان المعتقل « تزحلق على قشرة موز » او انه « فقد توازنه وضرب رأسه بالجدار » (ص ٣٩) . والقضاة « يصدقون » هذه الشهادات . وحتى اذا قدمت المحامية شكوى الى وزراء الشرطة والدفاع والداخلية ، يأتي الجواب دائما : « بعد التحقيق تبين ان الشكوى لا أساس لها من الصحة » ! . والواضح من عرض المحاكمات الكثيرة التي روتها لانغر ان المخابرات (شين بيت) هي التي تقرر كل شيء بالنسبة للمعتقل ، والقضاة العسكريون هم مجرد ممثلين في مسرحية المحكمة العسكرية .

لقد صرخ بشير الخيري بالقضاة العسكريين اثناء محاكمته : اذا كنتم لا تصدقوني ، تعالوا معي الى سراديب بناية الحكم العسكري في رام الله على بعد امتار قليلة من قاعة هذه المحكمة لكي تروا بأنفسكم صنوف الضرب والتعذيب ، فرفض القضاة طلبه مدعين ان « هذا ليس من شأن القضاة » ! (ص ٨٠) .

وتصف الكاتبة « فنون » التعذيب التي يلجأ اليها المحققون : المعتقلة العربية تدخل الى غرفة للموسسات اليهوديات فيضربنها حتى فقدان الوعي بعد تمزيق ملابسها . الشباب يضربون بالهراوات والايدي والارجل ، يعلقون من أيديهم لساعات طويلة ، يعذبون بالتيار الكهربائي وغير ذلك مما يدفع سلطات السجن الى منع المحامية من زيارتهم أشهر طويلة ، حتى تزول آثار التعذيب . البعض ماتوا في السجن بسبب التعذيب مثل قاسم ابو عكر من القدس والبعض اصابهم الجنون مثل نظمي جاد عيد من بيت لحم والبعض أصابهم الشلل الدائم مثل لطفيه الحواري وغيرهم .

وفي أحد ايام العام ١٩٦٩ شاهدت المحامية احد القضاة العسكريين في المحكمة العسكرية في رام الله وقد أعياه التعب واحمرت عيناه فسألته عن السبب ، فأجاب ، انه سهر الى ما بعد منتصف الليل ، حيث كان يحاكم طلاب المدارس الذين تظاهروا في تلك الايام ويقال لها ان هذه المحاكمة لا تفيد « بل يجب اطلاق الرصاص عليهم ! » . هذا هو « الحل » الذي يقترحه القاضي بالنسبة لطلاب المدارس الذين يتظاهرون ضد الاحتلال ، ومع ذلك يستمر في الجلوس على كرسي القضاة ويحاكم ويصدر الاحكام .

وتصف المحامية الفترة التي تحاول خلالها مقابلة المعتقل في السجن قائلة انها تسير في « طريق العذاب » حتى تصل الى المعتقل وحتى عندها يمنع المعتقل من التحدث اليها « خارج الموضوع » ، كأن يصف لها مثلا أنواع التعذيب التي لاقاها . وكثيرا ما ينكر رجال الشرطة والحكم العسكري وجود المعتقل لديهم ولا يسمحون لها بمشاهدة